رواية عن صمود النساء في قلب الدمار: غزة مرآة الدمع والدم والأمل

لكلّ أُمّ في غزة قصّة عن معاناة لم تُروَ. معاناة تبدأ بدمار البيوت، ولا تنتهي بدفن الأطفال في مقابر جماعية

ينشر موقع KHAMENEI.IR الإعلامي مقالةً تتناول صمود نساء غزة في وجه الإبادة الجماعية المستمرة منذ أكثر من ١٨ شهراً، وتروي كيف تحوّل الألم إلى قوّة، وكيف صارت النساء، رغم الفقد والدمار والتشريد، أعمدة أساسية في بنيان المقاومة الإنسانية، يحملن جراحاتهنّ وذكريات أطفالهنّ في قلوبهنّ، ويرفعن نداء «حسبنا الله ونعم الوكيل» الذي أصبح رمزاً عالمياً في وجه الظلم والاستكبار.

تحمل جسد طفلها بين يديها. طفل صغير، ملفوف بكفن أبيض، هامد، دون روح. هو الطفل نفسه الذي كانت تمشط شعره يوماً ما، وتعدّ حقيبته بعناية، وتحضّر له طعامه قبل ذهابه إلى المدرسة، ثم تودعه داعيةً مبتسمة. كان حلمها أن تراه يوماً بثوب التخرّج، ثم تمسك يده في زفافه، وتحتضن أولاده. لكن الآن، هذه الأم بدلاً من أن تحتفل بمستقبل ابنها، تقف في مراسم تشييعه، وقد فقدت الأمل بالأرض، ورفعت بصرها إلى السماء. تكرّر، بخضوع لمشيئة الله، «حسبنا الله ونعم الوكيل»؛ ذِكرٌ يجري على ألسنة أهل غزة جميعهم، أولئك الذين يقفون وسط الدمار شامخين رغم الظلم.

في خضمّ هذه الإبادة الجماعية المستمرة في غزة، التي تجاوزت ثمانية عشر شهراً، تُعدّ وجوه الأمّهات المكلومات المشهد الأصعب في سلسلة المأساة الإنسانية هذه. نساء لم يفقدن أحباءهنّ فقط، بل كل شيء، من بيوتهنّ وأحيائهنّ وذكرياتهنّ ومستقبلهنّ وأمانيهنّ. في أحضانهنّ جثث أبنائهنّ، وعلى ألسنتهنّ الدعاء، وفي نظراتهنّ الحداد، وفي قلوبهنّ لظى. لكلّ أمّ في غزة قصة عن معاناة لم تُروَ، معاناة تبدأ بدمار البيوت، ولا تنتهي بدفن الأطفال في مقابر جماعية.

استشهد في غزة أكثر من ٥٢ ألف فلسطيني، منذ بدء الإبادة الجماعية الشاملة التي شنّها الكيان الصهيوني بعد عملية «طوفان الأقصى» في أكتوبر ٢٠٢٣، وفقاً للتقرير الرسمي لوزارة الصحة في غزة.

وأشار التقرير إلى أنّ من بين الشهداء أكثر من ٢٠ ألف طفل. لقد حمل كل واحد منهم قطعة من قلب أمّه واصطحبها معه إلى الثرى، فتحوّلت ذكرياتهم وآمالهم وأحلامهم إلى حزن عميق. هذا الحزن الذي عندما استوطن أفئدتهنّ، حوّلته الأمهات الغزّيات - بصبرهنّ - إلى أعظم قوة داعمة للمقاومة في غزة.

أمام عجزه وغضبه نتيجة الهزيمة العسكرية والاستخباراتية التي مُني بها جرّاء عملية «طوفان الأقصى»، والتي أقرّ خبراء غربيون وصهاينة بها، هاجم الكيان الصهيوني النساء والأطفال المُستضعَفين، عندما عجز عن مواجهة مجاهدي المقاومة؛ ولكن نساء غزة حوّلن روايتهنّ، المجبولة بفصول الألم والفقد، إلى ملحمة عن أعمدة المقاومة الإنسانية. فقد وقفن في الصفوف الأمامية للحياة، في المستشفيات المكتظة بالجرحى، في المدارس المدمرة، في المخيمات المؤقتة، في طوابير الخبز، ووسط الأنقاض، على قيد الحياة، حرّات زارعات لبذور الأمل.

في أيام التشرد، أشعلت النسوة نار المواقد في خيام اللاجئين، ووزعن دفء حنين الحياة على العائلات. خَبَزن وسط الدمار، وهدّأن الأطفال، ورَعَيْن كبار السن، وداوَيْن جراحات المكلومين حتى لا يقعوا في براثن اليأس. استعادَت المنازل المدمرة بفضلهنّ عبير الحياة مجدداً، وفي أحضانهن التأمت جراحات الروح والجسد.

لا شك في أن نساء غزة ضحايا الظلم؛ ولكنهنّ لسن مكسورات، ولا منسيات، ولا عاجزات. هنّ المصابيح المنيرة في وسط الظلام. هذه الدموع التي تعاينها في أعينهن ليست دموع استسلام، بل دموع الإرادة المتجذرة في حب الحياة، والتسليم لله. وجوههنّ تعكس قرونًا من المقاومة ضدّ الاحتلال والاستعمار والإذلال. أصبحت نساء غزة اليوم رمزاً للمقاومة، رمزٌ لم تتعلم منه عصابة الإرهاب الحاكمة في الكيان الصهيوني، ولم تفهم طوال حربها الإجرامية في غزة أن القتل الجماعي للنساء والأطفال والمدنيين لا يستطيع أن يؤثر في بنية منظمة المقاومة الصلبة، ولا يمكنه أن يركّعها.

لم يعد ذكر «حسبي الله ونعم الوكيل» دعاءً فردياً فحسب، بل تحوّل إلى رمز عالمي للمقاومة في وجه القوى المستبدة. نداءٌ يتردد صداه الآن في قلوب الأحرار حول العالم؛ في تظاهرات لندن ونيويورك، في هتافات طلاب سان فرانسيسكو وباريس، في دموع أمهات اليمن وسوريا ولبنان. هذا النداء المظلوم؛ لكنّ القوي، كشف للعالم هشاشة الهيمنة الزائفة لأمريكا والكيان الصهيوني.

الناس حول العالم اليوم، حين ينظرون إلى نساء غزة، يرون الصورة الحقيقية للصمود؛ لا في ضجيج السلاح، بل في صمتٍ مهيب لنساءٍ يضعن كل يوم زهرةً على قبور أحبّتهنّ، ويروين ليلاً القصص للأطفال وسط الدمار. رواية غزة هي رواية امرأة مثخنة بالآلام، مفعمة بالقوة.

هذه الرواية هي التي أسرت قلوب كثير من النساء والفتيات في شرق العالم وغربه، وهي التي تصرخ في كل لحظة من لحظات الصبر: يا شعوب العالم، أنا تلك المرأة المسلمة التي كنتم لقرون تظنونها ضعيفة وعديمة الإرادة. أنا مَن كنتم تحلمون بخوض الحروب «لتحريرها»؛ لكنني اليوم، أنا التي، بتوكلي على الله وبإيماني وصبري، جئت لأخلّصكم أنتم. جئت لأنتشلكم من مستنقع اليأس، وأفتح أعينكم على أفقٍ أسمى، أفق الإيمان بالله والحرّية الحقيقية!

نساء غزة حوّلن روايتهنّ، المجبولة بفصول الألم والفقد، إلى ملحمة عن أعمدة المقاومة الإنسانية

استهداف الصحفيين في غزة.. قرار مرتبط بالخطة العسكرية لاحتلال القطاع

مرّة أخرى يثبت الاحتلال همجيته ووحشيته أمام العالم عبر استهدافه لخيمة الصحفيين في غزة، الذي أدى إلى استشهاد طاقم الجزيرة ومنهم أنس الشريف ومحمد قريقع، وهذا ما يندرج ضمن مسار واضح يهدف إلى تحييد التغطية الميدانية قبل تنفيذ خطة الاجتياح البرّي.

هذا النمط من العمليات ليس عرضياً، بل خطوة محسوبة في سياق أوسع تُقرره القيادة السياسية الصهيونية رغم التحفظات الجزئية داخل المؤسسة العسكرية.

اغتيال أنس الشريف: ضربة موجهة لصوت مؤثر

أنس الشريف، الذي عمل مراسلاً ميدانياً منذ بداية الحرب، مثّل مصدراً موثوقاً للمعلومات والصور من داخل غزة. تقاريره المصورة وأسلوبه في نقل المشهد الإنساني أوجد تأثيراً ملحوظاً في الأوساط الغربية، خصوصاً على منصات التواصل والإعلام المستقل.

وفق معلومات الجزيرة، كان أنس يتلقى تهديدات غير مباشرة منذ أسابيع، ما يشير إلى أن استهدافه كان جزءاً من عملية متابعة منهجية، لا نتيجة قصف عشوائي.

الصحافة كعقبة أمام تنفيذ الخطة العسكرية

أقرّت حكومة الاحتلال خطة شاملة لاحتلال قطاع غزة، تتضمن عمليات برية واسعة النطاق تهدف إلى «تفكيك البنية العسكرية لحماس» وفرض سيطرة أمنية دائمة. ورغم أن بعض القيادات العسكرية أبدت تحفظاً على الجدول الزمني المقترح وعلى مخاطر العمل في بيئة مكتظة، فإن الحكومة دفعت نحو التنفيذ السريع.

من الناحية العملياتية، يدرك صنّاع القرار في الكيان أن وجود صحفيين مستقلين على الأرض يشكّل عنصر إعاقة، ليس عسكرياً فحسب بل سياسياً، لأن أي توثيق فوري للدمار أو استهداف المدنيين سيؤدي إلى ضغط دولي وتعقيد الموقف في الساحات الغربية الداعمة لـ«إسرائيل». لذلك، يصبح تحييد الصحفيين -سواء بالمنع أو بالاستهداف المباشر- جزءاً من متطلبات تنفيذ الخطة.

أدلة على المنهجية

وفق ما نشرته الجزيرة في ١١ آب/أغسطس ٢٠٢٥، تم قصف خيمة الصحفيين رغم وضوح شاراتهم الصحفية وموقعهم المعروف مسبقاً للجيش.

وخلال الأسابيع الأخيرة، تكرر استهداف تجمعات إعلامية، بينها فرق من وكالات أجنبية، ما يعكس نمطاً متكرراً وليس حوادث معزولة. بالإضافة إلى ما نشره المتحدث باسم جيش الاحتلال أفيخاي أدرعي على صفحته عقب اغتيال الصحفيين ليلة أمس الأول، حيث ادّعى خلال منشوره أن الشريف يعمل لصالح حماس وكان يخطط لإطلاق الصواريخ على «إسرائيل» كل هذا للتغطية على الجريمة المروعة التي تتخطى كل المواثيق والقوانين الدولية.

وهذا نموذج على ما تقوم به منظمات الضغط الإعلامي التابعة للكيان مثل منظمة «هونست ريبورتنغ» الكندية وغيرها التي تهاجم الصحفيين وتشكك في رواياتهم وبالتالي تعطي «الشرعية» لاغتيالهم.

الهدف النهائي: فراغ إعلامي ميداني

مع بداية الاجتياح البري، تسعى قيادة الاحتلال لخلق بيئة عملياتية لا يتواجد فيها أي طرف قادر على نقل الصورة من خارج روايتها الرسمية.

غياب الصحفيين الفلسطينيين والأجانب يعني أن المعلومة ستعتمد بالكامل على البيانات العسكرية الإسرائيلية، ما يسمح بإدارة الرواية بحسب المزاج الإسرائيلي دون تناقضات أو فضائح موثقة بالصورة.

خرق للقانون الدولي

استهداف الصحفيين، كما يجري في غزة، يشكل انتهاكاً مباشراً للقانون الدولي الإنساني، وخصوصاً المادة ٧٩ من البروتوكول الإضافي الأول لاتفاقيات جنيف لعام ١٩٧٧، التي تمنح الصحفيين الحماية نفسها الممنوحة للمدنيين، وتحظر استهدافهم.

هذا السلوك الصهيوني، عندما يتكرر ويستهدف بوضوح صحفيين يحملون شارات تعريف واضحة ويقومون بمهام ميدانية موثقة، يرقى إلى جريمة حرب وفق النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

ورغم وضوح الإطار القانوني، تتسم المواقف الدولية الرسمية، خاصة من الحكومات الغربية والعربية، إما بالصمت أو الاكتفاء ببيانات إدانة عامة لا تتبعها أي إجراءات محاسبة، ما يفسح المجال أمام كيان الاحتلال لتكرار الانتهاكات.

ويستفيد الاحتلال من شبكة دعم سياسي ودبلوماسي راسخة، خصوصاً من الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية، التي توفر غطاءً يمنع تفعيل آليات العقاب الدولي، ويحوّل القوانين الدولية إلى نصوص شكلية بلا قوة إلزامية على الأرض.